نشيد السامرية

للشاعر رومانس المرنّم

مقدمة

عندما وافى الربُّ البئرَ[1]
استعطفت السامريةُ الحنون :
« اعطني ماء الايمان ،
فاتلقى الينابيع
متدفقة من حوض العماد ،
فداءً وابتهاجاً . »

---

١) يوحنا ٤ — ١٥

١ — يا نفسي . لا تسقي
الوزنة المعطاة لكِ .
لتلاطُمْني بوزر اهمالك :
يوم يحاكم الله العالم[1] .
وحينما يأتي الرب
سيحاسبك على الغرر :
ويضبط حساباته .
ولا يطالبك بما اخذت
من رأس مالٍ فحسب .
بل بما حصّلته ايضا .
انه يستوفي من كل انسان
الدين مع الفائدة[2] .
فيا نفس . اقلعي عن الاهمال
ويا نفس . تأجري .
يا نفس ، اعطي وخذي ،
حتى اذا جاء ملكك
يعطيك ثمن تجارتك
فداءً وابتهاجاً .

٢ — ما كنت اهلاً بما تملكين
وها انت تملكين
آخر وهبك النعمة
فلا تترددي ان تشركي بها
من يستعطيك ،
كما فعلت السامرية .
وحدها استقت
واعطت الآخرين مما اخذت .
ما النفس منها انسان
واحسنت للجميع .
اغدقت النعمة
التي اخذت على الآخرين .
هي عطشى وتغدق :
سقت وما شربت .
لم تذق بعد شيئاً وكأنها سكرى :
تصرخ بابناء بجدتها :
« هلموا انظروا الماء الجاري
الذي وجدت أليس هذا المانح
فداءً وابتهاجاً ؟ »

١) مز ٩ — ٩

٢) لوقا ١٩ — ٢٣

٣ — بما اننا قد شربنا
من هذه المياه الخالدة
التي وجدتها السامرية بإيمانها:
لنبحث ، نحن العطاش :
عن جميع الأوردة .
لنرجع قليلاً
الى عبارة الانجيل :
فنرى عن رشد
أن المسيح هو الماء
الذي شربت منه السامرية قديماً.
ونرى كيف أعطت
ماءً آخر تنفجر
من ذلك الماء .
ولِمَ لم تسقِ
من كان عطشان آنذاك
ولم تمنعت ؟
فالجواب نجده في الكتاب
المقدس[1] .
الكتاب العجيب الذي يحوي
ويعطينا

فداء وابتهاجاً .

٤ — ماذا يعلمنا الكتاب ؟
قال: ان المسيح الذي منه
ينفجر ينبوع الحياة للناس .
حين تعب من المسير .
جلس قرب نبع السامرة
وكانت ساعة حرّ .
وقال: وكان نحو الساعة السادسة
اي عند منتصف النهار :
عندما اتى المسيح
ليُنير الذين كانوا في الليل .
الينبوع كسب ينبوعاً
للاغتسال لا للشرب .
كان ينبوع الخلود
بالقرب من مجرى المرأة الشقية :
كأنه فقير معدم .
انه تعب من المسير :
وهو الذي جاز البحر

يتدميه بدون ما تعب :

وهو الواهب
فداء وابتهاجاً .

---

1) يوحنا ٤ — ١٥ و ٣٩ .

٥ ــ عندما كان الختن
قرب البئر ، كما قلت ،
اخذت سامرية
جرتها على كتفيها[1]
وانت خارجة
من مدينة سيخار .
لمن لا يغبط خروج
هذه المرأة ودخولها ؟
خرجت بفساد ودخلت بريئة
ورمزاً للكنيسة .
خرجت واستقت ؛
كأنها اسفنجة ؛
خرجت حاملة جرتها ،
ودخلت تحمل الله .
ومن لا يغبط هذه الامرأة
او بالاحرى من لا يحترم
تلك التي جاءت من الامم؟
انها صورة وقد اخذت
فداءه وابتهاجاً .

٦ ــ تقدمت البارة واستقت بحكمة.
ولما ابصرت السيد واهي القوى ،
وعطشان يبتغ :
«ايتها المرأة ، اعطني لاشرب[2]»
انما لم تكن شرسة الاخلاق ،
بل اجابت بنبرة الملامة :
«كيف تسألني ، وانت يهودي؟
ذكرته بالشريعة عن حكمة
وبعدئذ وعدته بالشرب .
هي لم تقل فعلاً :
«انا لا اعطيك لتشرب .
لانك من جنس آخر» ؛
بل قالت: كيف تسألني؟»
كما قالت أم الله قديماً للملاك:
«كيف يكون هذا[3]
وكيف الذي لا ام له
يستطيع ان يأخذني
أماً وهو المانح
فداء وابتهاجاً ؟»

١) يوحنا ٤ ــ ٧
٢) يو ٤ ــ ٧ و٩
٣) لوقا ١ ــ ٣٤

٧ — هوذا السامرية من سيخار
تظهر لي رسما لصورتين :
الكنيسة والسامرة .
فلا تهملها لانها مُنية للعيون.
اذن تنقل المرأة
من جديد للخالق :
« كيف تسألني ؟
اذا اعطيتك لتشرب ،
فعندما تشرب
تتجاوز الشريعة اليهودية :
ويبيك الماء لي زوجاً
يشاركني ايماني.»
ما اجمل اقوال السامرية !
انها ترسم على البئر
صورة لحوض العماد
وفي خروجها منه
يتبلها أمةٌ
الواهبُ
فداءً وابتهاجاً .

٨ — ويهتفُ يسوع :
يا امرأة : الآنَ اسمعي لي :
لو كنت تعرفين عطيتي.
ومن الذي يقول لك :
«اعطني ماء: لكنت انت
طلبت منه مجاري حية :
انه يعطي ماءً حياً . »
على هذا اجابت باضطراب:
«انت لاتحمل وعاء لتستقي
والبئر عميقة ؛
من اين لك المياه ؟
ألعلك اعظم من يعقوب ابينا[1] ،
او تكون افضل منه ؟
هو اعطانا قديماً
هذا النبع فكيف تقوى انت
على القول : انا استطيع ان اعطيك
مجاري حية
ما برحت تعطي الطالب
فداءً وابتهاجاً ؟

---

١) يوحنا ٤ — ١٠ و ١٢ .

٩ ـ انت يا امرأة . لا تعلمين
ما اقول وما توصلت الى ما اشاء
أمهلي اذنيك
وافتحي لي اذهانك .
لأدخل انيا واسكن فيها :
هكذا اردتُ انا .
من يشرب من هذا الماء[1]
فانه يعطش كل يوم.
واما الماء الذي سأعطيه
من أطيبهم الايمان .
فسيكون لهم منديًا
بعد عطشهم .
وفي داخل الذين يشربون منه :
يتحول مجراه الى ينبوع من خلود
سوف يتدفق ومنه
تجري الحياة الابدية .
هذا ما أخذه قديما
أولاد العبرانيين في القفر[2]
ولكنهم ما وجدوا
فداءً وابتهاجا.

١٠ ـ بهذه الاقوال التيت
السامرية عطشا
وتغير النظام :
فالتي كانت بدأ تستقي
هي عطشى الآن ؛
ومن كان عطشان قبلا
هو يستقي الآن .
انحنت المرأة وقالت[3] :
« يا رب . اعطني من هذا الماء
حتى لا احتاج الى المجيء الى
هذه البئر
التي وهبني اياها يعقوب .
لتفقد الايام القديمة قيمتها .
ولتزهر الايام الجديدة :
ليمضِ ما هو وقتي ؛
فالزمان اتى من ماء انت تملكه.
ليتدفق هذا الماء
ويستقي انا وجميع الذين
يبحثون بايمان
عن فداء وابتهاج .

١) يوحنا ٤ ـ ١٣ و١٤
٢) كور ١٠ـ ٤ و٥
٣) يوحنا ٤ ـ ١٥

١١ — اذا شئت فانا اعطيك
مجاري المياه الصافية ؛
اذهبي ، وادعي رجلك[1]
فلن احذو حذوك
ولن اقول لك : سامرية انت
فكيف تسأليني ماء ؟
ولن ارهق عطشك .
فانا بالعطش جذبتك الى العطش
لعبت دور العطشان .
وتظاهرت معذباً بالعطش
لكي اظهرك انت عطشى .
فاذهبي اذن وادعي رجلك
وهلمي .» — فقالت المرأة
« انا آسفة لا رجل لي . »
فاجابها الخالق : «اجل لا رجل لك
وقد كان لك خمسة رجال ؛
اما السادس فما هو لك
حتى تأخذي
فداءً وابتهاجاً . »

١٢ — يا للالغاز الحكيمة !
يا للسمات الرشيدة !
التي بها ترتسم صورة الكنيسة
بايمان المرأة البارة ؛
وبألوان حقيقية لا تشيخ .
كما أنكرت المرأة زوجها ؛
وقد كان لها ازواج عديدون
هكذا الكنيسة انكرت
آلهة عديدين كازواج
واتخذت زوجاً لها
السيد الوحيد
لما خرجت من المياه .
كان للسامرية خمسة ازواج
ولم تحرز السادس ؛
واما الكنيسة فلما تخلت
عن خمسة ازواج الاثم ؛
ففي خروجها من المياه
اتخذتك أنت السادس
فداءً وابتهاجاً .

---

١) يو ٤ : ١٦ و ١٨

١٣ — لنبغض اشكال
عبادة الاوثان !
فالعروس الآتية من الامم
ترمي بالنذرات
وتكرهها بسبب مرارتها
هذه اصل عذب .
ورثنا سُمّ الحنش .
ما هي خسة الاتكال هذه؟
عنيد هو الضلال
لعبدة الاوثان .
انما له خمسة قرون :
الكفر والخلاعة والفجور
اضف الى ذلك القساوة
وقتل الاطفال
كما يعلم داود حين يقول[1] :
ذبحوا بنيهم وبناتهم
للشياطين وما وجدوا
فداءً وابتهاجاً.»

١٤ — العروس الناشئة من الامم
تركت مثل هذه الاضاليل .
وعدت الى هنا .
الى بئر حوض العباد .
وانكرت ماضيها :
كما فعلت السامرية قبلا .
انها لم تخفِ شيئاً
عن عالم كل شي قبل حدوثه .
بل قالت : «ليس لي زوج.»
هي لم تقل : «ما كان لي» .
وكما اظن ارادت ان تقول :
وحتى ولو كان لي ازواج سابقا
فلست اشاء فيما بعد
ان يبقى لي من كانوا لي .
فانا الآن امتلكك انت
وقد اخذتني في شباكك ؛
واصطدتني بالايمان
من اوحال رذائلي لأنال
فداءً وابتهاجاً . »

١) مز ١٠٥ — ٣٧ و٣٨

١٥ — عندما فهمت البارة
كرامة المخلص
بما كشفه لها .
صبت الى الاستزادة
لمعرفة ما كان عليه
ومن هو الرجل الذي عند البئر
اجل كانت قد أخذت
بمثل هذه الافكار .
وذلك ليس بدون سبب :
« هل هو الله ، ام هو انسان
الذي انظره ؟
اهو من سكان السماء
ام سكان الارض ؟
هاهو يخلق له معرفة الامرين معاً
في كائن واحد ؛
عندما يسقي وهو عطشان
عندما يعلم ويتنبأ ؛
وعندما يدعوني
انا الخاطئة لاعود اليه
وعندما يريني كل هنواتي لآخذ
فداءً وابتهاجاً .

١٦ — اذن هو من السماء .
ويحمل محبباً ارضياً .
وبما انه الله وانسان
فقد تراءى لي كانسان
وبما انه عطشان
اروائي كالله وتنبأ .
لا يستطيع انسان
ان يعرف حياتي ويحوم في فكره
بل بوسع الله الذي لا يُرى
والذي سمح اليوم بان يُرى .
بوسعه ان يشكوني
وله وحده ان يلومني .
له ان يعرفني ويعلن ما انا عليه .
انا استقي من روحه .
وانا اشرب من علمه .
وفي اقواله اغسل
كل دنس خطاياي ؛
حتى آخذ بقلب طاهر
فداء وابتهاجاً .

١٧ — يا ابن الانسان. كما اراك .
يا ابن الله . كما أفكر فيك.
انت انر قلبي .
يا رب . علمني من انت.
هذا ما كنت تصلي به
الى المسيح المرأة السامرية :
« هذا ان يرث بجلاء
واحدث بيدي .
لا تحف عني ذاتك :
ألست انت المسيح
من قال قال عنه الانبياء
انه سيأتي ؟ [1]
فاذا كنت انت اياه .
كما اثبتوه . فقل لي بدالة :
بالحقيقة ارى انك
تعلم ما عملت :
حتى اسرار القلب :
ولذا اترسل اليك
بارادة صاخة لآخذ —
فداءً وابتهاجاً . »

١٨ — عندما ابصر المبصر
افكار الحكيمة
وايمان قلبها. اجاب المرأة فوراً
« انا من تسمينه مسيا
ومن تنبأ الانبياء
انه سيأتي في ايامنا
ترينه انت وتسمعين صوته [2]
انا هو من تبصرين .
وانا من تملكين
في قرارة قلبك .
انا جئت حباً بك
لاجذبك واخلصك .
الآن بشري بهذا
لجميع المريدين خلاصاً :
وفي مدينة سيخار
والى اقربائك ومواطنيك .
واهمسوا جميعاً معاً
ايها العطاش
الى فداء وابتهاج .

---

١) يو ٤ — ١٩ و ٢٥

٢) يو ٤ — ٢٦

١٩ — هاءنذا استريتك . يا امرأة .
من لجة الحقارة
انا من كان لا يملك شيئاً
لاستقي به
نظفت قلبك بدون ان ابلله .
وغسلت روحك بدون مجاري .
وجعلت سكناي فيك طوعاً .
واظهرت ما انا عليه
ولم اشرب . »
وبينما كانت الامور تقال وتتم .
وصل التلاميذ ، ويقول الكتاب
انهم ما كانوا موجودين
قرب البئر في تلك الساعة[1]
بل أتوا بعدئذ
وعرفوا كل هذه الامور
فصرخوا متعجبين :
«يا لتحيك الرائع للانسان !
لقد تنازل حتى الى امرأة
من يعطي
فداءً وابتهاجاً . »

٢٠ — تشجعت السامرية
واسرعت نحو سكان المدينة .
تركت جرتها
وحملت على اكتاف قلبها
من يسير الكلى والقلوب .
وقالت الى المدينة
وبوقت صارخة هكذا بالجميع :
ايها الشيوخ . وانتم ايها الاحداث
ايها الفتيان والعذارى :
اسرعوا الى البئر .
لقد فاض الماء ويجري للجميع
رأيت هناك انساناً
علينا ان لا نسميه انساناً ؛
فانه يكمل اعمال الله ؛
فقد قال لي كل شيء
وتنبأ لي ؛
من يريد ان يخلص
الجميع ويعطيهم
فداءً وابتهاجاً . »

---

١) يو ٤ — ٢٧
٢) يو ٤ — ٢٨ و ٢٩
٣) مز ١٤٨ — ١٢

٢١ — ان المبشرين يلخص
لم يقولوا شيئاً مضللاً
عندما وجدوه
يتحدث الى امرأة .
وهو من اتى الى الارض
ليولد من عذراء
اكذلا لتقاصده .
ذهبوا ليجلبوا طعاماً .
فوجدوا غذاء
لم يخبره انسان .
لكنما يعطي الطالبين
طعام الخلود .
فاجابهم : « طعامي هو
ارادة ابي .
وانا آكل طعاماً
لستم انتم تعرفونه :
ولكن عندما يأكله الناس
يفيض للجميع نسمة كاملة
وايماناً راسخاً ، يعطي
فداءً وابتهاجاً . »

٢٢ — توجه سكان السامرة
جماعات نحو الخالق[٣] .
وتركوا بيوتهم .
فاظهرهم الايمان
بيوتاً لمن تكلم
في الكتب الموحاة كما قيل :
« ساسكن فيما بينهم[٣]
وامشي معهم .
كما هو مكتوب .
انهم تركوا كل شيء
في مثل تلك البيوت :
الحقول والاهل
وما هو عزيز لديهم ؛
وسأكون لهم إلهاً
يخلصهم من الاشراك ؛
وهم سيكونون شعبي المقدس .
صانعين مسكنهم
في الثالوث الخالد وغير المنقسم
والمجري بفيض
فداءً وابتهاجاً . »

---

١) يو ٤ — ٢٧ و ٣١ و ٣٤
٢) يو ٤ — ٣٠
٣) سفر اللاويين ٢٦ — ١٤